

## مصطلح المقامية في التراث النقدي البلاغي The Term Situationality in The Rhetorical Critical Heritage

1 غزالي خيرة

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم (الجزائر)، razalikheira558@gmail.com

2 أ.د سعيدي محمد

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم (الجزائر)، saidi\_mh27@yahoo.fr

تاريخ الارسال 2020/10/19 تاريخ القبول 2023/03/15 تاريخ النشر 2023/06/10

### الملخص:

تروم هذه الدراسة إلى تبيان التكامل المعرفي بين لسانيات النص والبلاغة العربية، فمصطلح المقامية واحد من القضايا التي شغلها نحو النص، وهو أحد المعايير النصية التي تساهم في اتساق وانسجام النص. والتراث النقدي البلاغي اهتم بهذه المفاهيم، فالبلاغة العربية ارتبطت مفهومها بالمقام ومقتضى الحال. والدراسة التي بين أيدينا تخلص إلى أن ما أتى به الغربيون من مصطلحات خاصة "المقامية" هي استكمال لما جاء بها النقاد البلاغيون القدامى ونخص بالذكر المقام ومقتضى الحال، فكلها تهدف إلى دراسة ظروف إنتاج النص التي تحقق مقاصد الخطاب.

**الكلمات المفتاحية:** لسانيات النص، معايير النص، المقامية، البلاغة العربية، المقام، مقتضى الحال.

### **ABSTRACT**

This study aims at identifying the complementarity of knowledge between the text linguistics and the Arabic rhetoric, as the term Situationality is the same in the issues it occupies towards the text, it is one of the standards that contribute to the coherence and cohesion of the text. The rhetorical critical heritage is interested in these concepts, the concept of the Arabic rhetoric was linked to Situation and the Context of Situation. The study that we have before us concludes that what the Westerners came up with terms especially "Situationality" which is a continuation of what the old rhetorical critics said, in particular, the Situation and the Context of Situation. As they aim to study the conditions of the text output that achieve the objectives of the discourse.

**keywords:** Text linguistics, Text standards, Situationality, the Arabic rhetoric, Situation, Context of situation.

تقديم:

إن لسانيات النص من أحدث العلوم التي ظهرت في منتصف القرن العشرين نتيجة تظافر جهود ثلة من الباحثين اللغويين، ومنهم "هاريس" الذي حاول أن يوسّع مجال البحث من الجملة إلى النص وغيرهم من الباحثين وصولاً إلى الأمريكي "دي بوجراند" حيث وضع سبعة معايير للنص ألا وهي: السبك، الحبكة، القصديّة، التقبليّة، الإعلاميّة والمقاميّة، وأخيراً التناس، وتمثل المقامية المعيار السادس، وقد ارتبط مفهومها بالسياق عند المحدثين. فالنص مرتبط بموقف معين وظروف محيطيّة به، كل هذا يساعد على كشف أغوار النص، وإذا عدنا إلى التراث العربي خاصة النقدي والبلاغي نجد زاحراً بهذه المفاهيم، ولعل مقولة " لكل مقام مقال " تربعت على عرش التراث لتجعل من مصطلح المقامية مفهوماً يتأصل عند العرب قديماً. فياترى ما الفرق بين المقامية كمفهوم عند النقاد البلاغيين وكمصطلح عند الغربيين؟. والغرض من هذا البحث هو الكشف عن جذور هذا المصطلح في التراث النقدي البلاغي وتبيان التكامل المعرفي بين لسانيات النص والبلاغة العربيّة. ومن العناصر التي سنقف عندها في دراستنا: لسانيات النص: المفهوم والتأسيس، المقامية عند الغربيين، المقامية في التراث النقدي البلاغي، ونخص بالذكر: لكل المقام مقام و مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

## 1 لسانيات النص: المفهوم والتأسيس

لقد ظهر في نهاية الستينيات من القرن العشرين منهج لساني يسميه بعض اللغويين "نحو النص"، ويسميه البعض الآخر "اللسانيات النصية". يتكفل هذا المنهج بدراسة بنية النصوص وكيفيات اشتغالها<sup>1</sup>.

لقد كانت البدايات الأولى لهذا العلم مع هاريس (Harris) حينما قدم دراستين بعنوان: تحليل الخطاب (analyse du discours) قام فيهما بتحليل منهجي لبعض النصوص. ثم تطورت بعد ذلك على يد "تون. فان دايك" (T.A. Van Dijk)، غير أن الدراسات النصيّة لم تعرف أوجهاً إلا مع اللغوي الأمريكي "روبرت دي بوجراند" (Robert De Beaugrande) في الثمانينات من القرن العشرين، وقد ألف في هذا المجال كتاب "مدخل إلى لسانيات النص" سنة 1981<sup>2</sup>.

ومن خلال هذه المحطة المختصرة لمسار لسانيات النص نلمح أن هناك تطور ملحوظ، فكل باحث قامت أعماله على دراسات سابقة له، فهي عصارة أعمال باحثين لغويين انصب اهتمامهم حول النص.

لقد تعددت مسميات هذا العلم نظراً لكثرة الباحثين في هذا المجال، منها: لسانيات النص، نحو النص، علم اللغة النصّي إلا أن موضوعه واحد ألا وهو النص. ويمكننا أن نلتقي مع عدة باحثين قدّموا تعريفات في هذا المجال منهم الدكتور "صبيح إبراهيم الفقي" في قوله: "علم اللغة النصّي — فيما نرى — هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله... والسياق النصّي Textuel context، ودور المشاركين في النص (المرسل والمرسل إليه) وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"<sup>3</sup>، ومنهم من عرفها بأنها "فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة..."<sup>4</sup>.

وبعد تقديمنا لهذه التعريفات الموجزة حول لسانيات النص نستنتج أنها تهم بكل ما يتعلق بالنص منطوقاً أو مكتوباً من روابط لغوية، بالإضافة إلى آليات الاتساق والانسجام.

أما وظيفة لسانيات النص "فهي تسعى إلى تحليل البنى النصية، واستكشاف العلاقات التي تساهم في اتساق النصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية"<sup>5</sup>. كما أن نحو النص يمكن من توضيح وتشخيص علاقات لم ينظر إليها في نحو الجملة، وهي علاقات فيما وراء الجملة بين الجمل والفقرات والنص. وذلك على المستوى المعجمي، والمستوى النحوي (الصوت والصرف والتركيب)، والمستوى الدلالي<sup>6</sup>.

فعلم لغة النص يختص بتصوير مهمة جديدة له تتجاوز مهمته التقليدية، فلم يعد يقتصر على مجرد تنظيم الحقائق اللغوية فحسب... وإنما تعددت مهمته إلى الاهتمام بالاتصال اللغوي وأطرافه وشرطه وقواعده وخواصه وآثاره، وأشكال التفاعل ومستويات الاستخدام وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصية في المتلقي<sup>7</sup>.

وعليه فمهمة لسانيات النص متعددة ومجالها واسع لأن النص كيان ديناميكي تنمو فيه اللغة وتنتج مبدعا ثانيا للنص والمتمثل في القارئ، ومن بين المصطلحات التي اهتم بها هذا العلم مصطلح "المقامية".

## 2. المقامية عند الغربيين :

يعد دي بوجراند من أوائل علماء النص الذين حددوا بدقة متناهية معايير النص، بحيث جاءت شاملة لكل تعاريف النص على اختلافها، وقد ضمن ذلك كتابه "النص والخطاب والإجراء"<sup>8</sup>، حيث يقول: "وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية textualuality أساسا مشروعا لايجاد النصوص واستعمالها"<sup>9</sup> وأما هذه المعايير فهي<sup>10</sup>:

1. السبك Cohesion

2. الحبك Coherence

3. القصدية Intentionality

4. التقبلية Acceptability

5. الإعلامية Informativity

6. المقامية Situationality

7. التناص Intertextuality

ومن المعايير السبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص (السبك و الالتحام)، واثنان نفسيان وهما (رعاية الموقف والتناص)<sup>11</sup>

والمقامية تمثل المعيار السادس عند دي بوجراند، وقد وردت ترجمات عربية للمصطلح الأدبي (Situationality)، منها رعاية الموقف والموقفية، وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه<sup>12</sup>

يمثل المقام أحد المقومات الفاعلة في اتساق النص، وخاصة من الناحية الدلالية وعليه فإن نصية الخطاب لا تكتمل و لا تستقيم إلا إذا راعى صاحبه في إنجاز الظروف المحيطة التي سيظهر فيها النص<sup>13</sup>.

من خلال هذا القول نخلص إلى أن المقام يرتبط بظروف إنتاج النص لتتحد الرؤى في تحديد معالمه، وفهم مضمونه، فهو شرط أساسي للوصول إلى المعنى.

كما أن المقام ارتبط مفهومه بالسياق لدى المحدثين ، حيث يرى "دي بوجراند" أنه "ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف، وهذه البنية الشاسعة تسمى سياق الموقف"<sup>14</sup>.

وهذا ما عززه "محمد خطابي" في كتابه ، وأشاد بضرورة وجود السياق لتحديد التواصل بقوله: "الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه بالمعنى المحدد سالفاً، إذ كثيراً ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية... ومن ثم فإن للسياق دور فعال في تواصلية الخطاب ، وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكناً أن يكون للخطاب معنى لولا الإمام بسياقه"<sup>15</sup>.

كما نوه إلى أن للسياق دور كبير في تأويل الخطاب في قوله: "على محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يرد فيه جزء من خطاب، إذ هناك بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل، ومن هذه الحدود المعنيات مثل: هنا، الآن ، أنا ، انت، هذا، ذلك. من أجل تأويل هذه العناصر ، حيث ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف ( على الأقل) من هو المتكلم ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب"<sup>16</sup>.

وهكذا يمكن اعتبار المقامية أحد المرتكزات التي تقوم عليها النصية، فدراسة النص يجب أن تلم بالبنى الداخلية له، كما يجب الإحاطة بظروف إنتاجه، وزمان ومكان إنتاجه، والاهتمام بالمستمع والمتلقي أي بالسياق الداخلي والخارجي للنص.

### 3. المقامية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب:

إذا عدنا إلى التراث خاصة البلاغي والنقدي نجده زاحراً بمقولات ثلاث مفهومة المقامية عند الغربيين منها لكل مقام مقال، مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

والنقد العربي يوسع دائرة المقام ومقتضى الحال بل إن هذه الدائرة متسعة أصلاً منذ الجاحظ<sup>17</sup>. فكل من المطابقة والمقام أصبحا أساسين صالحين للتطبيق في كل من فن الشعر والخطابة، ولا بد من العودة إلى النقد لتمحيص الحقيقة التي تضع هذا المفهوم في موضعه الصحيح، وإلى الجاحظ خاصة فهو واضع أساس المطابقة بين الكلام والسماع<sup>18</sup>.

ونلاحظ مما سبق أن الدراسات النقدية العربية لها سبق في الحديث عن هاذين المفهومين والجاحظ يعد من البلاغيين الأوائل الذين أزاحوا اللبس وأفاضوا الخبر في المسائل البلاغية خاصة مفهومي: لكل مقام مقال، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

#### 1.3. لكل مقام مقال:

لقد كان للبلاغيين سبق في تحديد الرؤى والمفاهيم حول المقام، يقول "تمام حسان" في هذا الصدد: "ولقد كان البلاغيون متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي "المقام والمقال" باعتبارهما أساسيين متميزين، ومن أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"<sup>19</sup>.

و البلاء في إطار شكلية البلاغة فطنوا إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها ، وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلا منها "مقاما"، فمقام الفخر غير مقام المدح... وكان رأي البلاغيين أن "لكل مقام مقال" لأن ثورة المقال تختلف حسب صورة المقام<sup>20</sup>.

كما أن الكلام قديما كان مرتبطا بطبقاته فلا يخاطب الملوك مثلا بلغة العامة، يقول "أبو الهلال العسكري": "لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق، لأن ذلك جهل بالمقامات، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام وأحسن الذي قال، لكل مقام مقال"<sup>21</sup>.

وقد قررت صحيفة بشر بن المعتمر في البيان والبلاغة أشياء أصبحت مشتركة بين الخطابة ونقد الشعر ومنها: الملازمة بين المعنى والمستمعين، فكل طبقة كلام، ولكل حالة مقام<sup>22</sup>.

### 2.3. مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

لقد عرف البلاغيون القدامى بأن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومن بينهم "القزويني"، فقد عرفها بقوله: "البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته.... فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى بالتركيب"<sup>23</sup>. إذن هو

لب البلاغة وجوهرها، إنه وضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب، وهي مخاطبة الناس على قدر عقولهم وفهمهم، فهو الأذكياء بما يليق بالأذكياء وهو تخاطب من فقد أمه أو أباه بلغة المدح، وأن تحدّث من طار به الشوق وحالفه التوفيق بلغة الفرح والسعادة، ولقد أصبحت المطابقة لمقتضى الحال معيارا للبلاغة، فهو يقيس درجة البلاغة في الكلام<sup>24</sup>.

و"السكاكي" رأى أن مقتضى الحال مرهون بالكلام والمقام الذي قيل فيه في قوله: "ثم إذا شرعت في الكلام، فكل كلمة مع صاحبها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفه الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال"<sup>25</sup>. ويعزز الدكتور "محمد عبد المطلب" هذا الرأي بقوله: "من حيث كان المقصود بها مجالات الإبداع التي ترتبط بمقتضى الحال

ومن خلال آراء النقاد العرب القدماء حول مقتضى الحال نستنتج أن هذا المفهوم ارتبط بنوعية الكلام والمقام الذي يساق فيه، فباب الحسن من الكلام يقتضي مقام المدح والشكر وغيرها، وباب الإساءة يفرض مقاما مناسبا.

وبعد الانتهاء من هذه الورقة البحثية نخلص في الأخير إلى جملة من النتائج لعل أهمها:

النقاد البلاغيون العرب لهم سبق في الحديث عن المسائل البلاغية خاصة "المقام" و"مقتضى الحال".

ارتبط مفهوم "المقام" قديما بطبقات الناس، فلكل طبقة كلام، ومفهوم "مقتضى الحال" ارتبط أيضا بالكلام والمقام الذي قيل فيه.

مصطلح المقامية كمعيار يساهم في انسجام النص، وأحد معايير النصية يعود التأصيل له قديما، فقد كان للبلاغيين حظ وافر بما في ذلك المقام من خلال مقولاتهم الشهيرة "لكل مقام مقال".

المقال عند البلاغيين لا يتحقق إلا بظروف مقامية تحقق مقاصد الخطاب وهي نفسها ظروف إنتاج النص التي حددها "دي بوجراند" عند الغربيين، فما أتى به الغربيون إلا استثمار لما جاء به العرب قديما. يمكن اعتبار ما أتى به النقاد البلاغيون العرب إعادة طرح لفكرة المقامية بأسلوب يتلاءم وتفكيرهم يجعلها ممنهجة كمصطلح له أسسه النظرية، ولكن تبقى جذوره متربعة على عرش التراث.

<sup>1</sup> محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ص: 59.

<sup>2</sup> ينظر نفس المرجع، ص: 62، 63.

<sup>3</sup> صبيحي ابراهيم الفقي: علم اللفة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، الجزء الأول، دارقباة القاهرة، 1431هـ-2000م، ص: 36.

<sup>4</sup> بن يحيي طاهر ناعوس: تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة ، ص 38.  
<sup>5</sup> المرجع نفسه ص 38.

<sup>6</sup> جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 68.

<sup>7</sup> سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، بيروت-لبنان، ط1، 1997، ص: 162-163.

<sup>8</sup> محمد الأخضر الصبيحي، المرجع السابق ، ص 81.

<sup>9</sup> دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء ، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1: 1418هـ 1998م، ص 103.

<sup>10</sup> المرجع نفسه ، ص 103، 104، 105.

<sup>11</sup> المرجع نفسه، ص 106.

<sup>12</sup> المرجع نفسه ، ص 104.

<sup>13</sup> محمد الأخضر الصبيحي: المرجع السابق: ص 98.

<sup>14</sup> دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء: ص 78.

<sup>15</sup> محمد خطابي: لسانيات النص، المرجع السابق ، ص، 56.

<sup>16</sup> المرجع نفسه، ص: 29.

<sup>17</sup> محمد المبارك، استقبال النص عند العرب / دراسات أدبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999م، ص: 264.

<sup>18</sup> المرجع نفسه، ص: 265.

<sup>19</sup> تمام حسان: اللغة العربية مبناها ومعناه، الدار البيضاء ، المغرب، 1994، ص 337.

<sup>20</sup> المرجع نفسه، ص 337.

<sup>21</sup> أبو الهلال العسكري: كتاب الصناعتين ص 27

<sup>22</sup> يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية : علم المعاني علم البان علم البديع، عمان، دار الميسرة للنشر

والتوزيع 1427هـ 2007م ص 14

- 23 محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد : المصطلح والنشأة والتجديد، بيروت لبنان ط1، 2006، ص 17 .
- 24 المرجع نفسه، ص: 17. 18.
- 25 السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 1403 هـ، 1986 م، ص: 168.